وقائع المؤتمر الدولي السابع للعلوم الانسانية والاجتماعية
كلية التربية للبنات – جامعة القادسية
بالتعاون مع مؤسسة الفضائل لتطوير التعليم ومركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية
26- 27 شباط – 2025 ((البحث العلمي لتحقيق التنمية المستدامة))

إسهام المرأة البغدادية الإداري والأمني في العصر العباسي (132-656هـ/ 749-1258م)

أ.د. رائد محمد حامد
جامعة الموصل / كلية الآداب/ قسم التاريخ
م.د. أحمد ميسر السنجري
جامعة الموصل / المكتبة المركزية

يهدف هذا البحث الى اماطة اللثام عن وجه الحقيقة للتعريف بإسهام المرأة البغدادية الاداري والامني في العصر العباسي (132-656هـ/ 749-1258م) ,واعطاء صورة جلية لحجم الاسهام النسوي في النشاط الوظيفي في عصر من أكثر العصور العربية الاسلامية ازدهارا وعطاءاً على الاصعدة الحضارية كافة، وقد اشتمل البحث على مقدمة فضلاً عن مبحثين اثنين تناولنا في الاول اسهام المرأة البغدادية الاداري في العصر العباسي متمثلا في اولا القهرمانة وثانيا الكاتبة، فيما اشتمل الثاني على اسهام المرأة البغدادية الامني في العصر العباسي وفيه اولا الجاسوسة وثانيا المفتشة.

اما الخاتمة فقد اوضحنا فيها اهم النتائج التي توصل اليها البحث.

الكلمات المفتاحية : المرأة البغدادية – اسهامها الإداري والأمني العصر العباسي

The administrative and security contribution of Baghdadi women in the Abbasid era

(132-656 AH / 749-1258 AD)

Assist. Prof. Dr. Raed Mohammed Hamed
University of Mosul / College of Arts / Department of History,
Lec. Dr. Ahmed Mayser Al-Sanjari
University of Mosul / Central Library

Abstract :This research aims to reveal the truth about the administrative and security contribution of Baghdadi women in the Abbasid era (132-656 AH / 749-1258 AD), and to give a clear picture of the size of the women's contribution to functional activity in one of the most prosperous and generous Arab Islamic eras at all levels of civilization The research included an introduction as well as two chapters. In the first we dealt with the administrative contribution of the Baghdadi woman in the Abbasid era represented in the first Al-Qahramana and the writer second, while the second included the security contribution of the Baghdadi woman in the Abbasid era, including first the spy and secondly the inspector. As for the conclusion, we have explained the most important findings of the research.

Keywords: Baghdadi women - their administrative and security contributions in the Abbasid era

المقدمة:

اعطى الاسلام لكل انسان ذكرا كان ام انثى حقا في العمل والتكسب فقد وردت آيات قرآنية تحث على العمل والاكتساب من ذلك قوله تعالى { لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ } [1] وقوله تعالى {وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ } [2]، ان هذه النصوص القرآنية الكريمة وغيرها جاءت عامة مطلقة ولا تقتصر على الرجال فقط فهي تشمل النساء ايضا.

[1]() سورة البقرة، الآية: 198.

في حين وردت بعض الاحاديث النبوية الشريفة التي لها علاقة بموقف الاسلام من نشاط المرأة يأتي في مقدمتها الحديث النبوي الشريف الذي يوضح العمل الاساسي الذي اوجبه الاسلام على المرأة والمتمثل في رعايتها بيتها والاعتناء بافراده وتهيئة الجو الاسري الاسلامي لهم حيث قال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (المرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها.[3])

اما موقف العلماء من نشاط المرأة والذي استنبط احكامه الشرعية تجاه مختلف القضايا والذي يؤخذ من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كان موقفه ان الامتهان في طلب المعاش للرجال والنساء من فعل الصالحين وانه لا عار فيه ولا نقيصة على اهل الفضل .[4]

لقد اسهمت المرأة البغدادية في العصر العباسي إسهاماً واضحاً في العديد من المجالات ومنها الاداري والأمني، ومن خلال تلك الاسهامات اصبح لبعض النسوة نفوذ كبير في قصور الخلفاء، واصبحت لهن قدرة كبيرة على التدخل في ادارة شؤون الدولة، بل اصبح للبعض منهن دور في تنصيب الخلفاء ودور في تدبير امور الخلافة نتيجة ضعف الخليفة، كل ذلك كان له صدى لدى بعض الشعراء المعاصرين لهن، مما دفعهم الى قول الشعر فيهن.

المبحث الاول: اسهام المرأة البغدادية الاداري في العصر العباسي

اسهمت المرأة في العصر العباسي إسهاماً واضحاً وشغلت العديد من الوظائف منها الادارية وقد تم تقسيم تلك الوظيفة الى قسمين وحسب الاهمية واولهما:

1. القهرمانة:. تعد وظيفة القهرمانة [5] من اهم الوظائف التي انيطت مسؤولية القيام بها الى المرأة في العصر العباسي، علماً ان القهرمانة بالأساس "لون من الوان الجواري في المجتمع العباسي، مع انها ارفع منزلة وشأن في شريحة الجواري التي تنتمي اليها لأن هذه التسمية كانت قد استعملت للإشارة الى الوظيفة التي تخص الامور المالية من الدخل والخرج في البلاط العباسي"، [6] لكن ذلك لا يمنع ان يكون هنالك بعض القهرمانات من الحرائر كالقهرمانة ام موسى الهاشمية [7]، وكان لا بد للقهرمانة من مقومات وملكات شخصية وثقافية وادارية، لكي تتمكن من الارتقاء من جارية اعتيادية مهمتها الاساسية الخدمة في دور الخلفاء والوزراء الى وظيفة القهرمانة، فعلى سبيل المثال كان لزبيدة زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد (170-193هـ/ 786-809م). جارية قهرمانة كانت قد رتبتها وثقفتها وادبتها، وكانت ترسلها في مهم امورها الى كتابها وعمالها وديوانها .[8]

---

[2]() سورة المزمل، من الآية: 20.

[3]() البخاري، محمد بن اسماعيل (ت: 256هـ/869م)، صحيح البخاري، دار الفكر، (بيروت: 1986)، 261/3.

[4]() ابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك (ت: 449هـ/1057م)، شرح صحيح البخاري، مكتبة الرشد (الرياض: 2000)، 490/6.

[5]() القهرمانة: القهرمان: لفظة اعجمية استعملتها العرب بمعنى الوكيل او امين الدخل والخرج القهرمة: فعل القهرمان، انظر: البستاني، بطرس، قطر المحيط، مكتبة لبنان (د. م: د. ت)، 1791.

[6]() حسن، سولاف فيض الله، دور الجواري والقهرمانات في دار الخلافة العباسية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (بغداد: 2004م)، 2.

[7]() ام موسى الهاشمية: من ابرز القهرمانات في عصر الخليفة العباسي المقتدر بالله كونها اولاً هاشمية الاصل فهي ام موسى بنت العباس بن محمد بن سليمان بن ابراهيم الامام العباسية الهاشمية، عينتها السيدة شغب ام الخليفة المقتدر بالله قهرمانة لها بعد غرق فاطمة القهرمانة سنة 299هـ/ 911م، انظر: القرطبي، عريب بن سعد (ت 369هـ/ 979م)، صلة تاريخ الطبري، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، (القاهرة: 1977م)، 77-95-122.

[8]() ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ/ 1200م)، ذم الهوى، تحقيق: مصطفى عبدالواحد مطبعة السعادة، (القاهرة: 1962م)، 623.

كما امر الخليفة العباسي المأمون (198-218هـ/ 813-833م) باصطناع امرأة كقهرمانة لدور حرمه بعد ان ثبت له انها ذات مروءة وعلوهمة وكتمان للسر، اذ كان قد خبر منها امتلاكها لتلك الصفات بعد ظفره بعمه ابراهيم بن المهدي في سنة (210هـ/ 825م) والذي كان متستراً عندها رغم معرفتها به وضخامة الجائزة المالية التي عرضها المأمون لمن يدل عليه والمتمثلة بمئة الف درهم، فإنها مع ذلك لم تشي به [9]

.

ثمة اشارة يوردها الجاحظ [10] مفادها ان الاعتماد على الجواري المملوكات لنساء الخاصة للعمل كقهرمانات يتولين تصريف سائر الشؤون الادارية. كان امراً مألوفاً في العصر العباسي، وذلك بقوله "ثم لم يزل للملوك والاشراف إماء يختلفن في الحوائج ويدخلن في الدواوين ونساء يجلسن للناس، مثل خالصة جارية الخيزران وعتبة جارية ريطة ابنة ابي العباس، وسكر وتركية جارتي ام جعفر.... كن يبرزن للناس احسن ما كن واشبه ما يتزين به، فما انكر ذلك منكر ولا عابه عائب".

علماً ان من اهم الاعمال التي كان يوكل للقهرمانة القيام بها تأدية "الرسائل عن الخليفة الى الوزير والعكس، وكذلك تقوم بشؤون دور الخلافة والنفقة عليها بالأتفاق مع الوزير او من ينوب عنه" , [11]

وتأكيداً على ذلك ان فاطمة القهرمانة [12] كانت تؤدي رسائل الخليفة العباسي المقتدر بالله (295-320هـ/ 908-932م) ووالدته السيدة شغب الى الوزير ابن الفرات [13]، فلما غرقت جعلت السيدة شغب مكانها ام موسى الهاشمية فكانت تقوم بالعمل نفسه الذي تقوم به فاطمة القهرمانة .[14]

وكان سبب نفي الوزير علي بن عيسى من بغداد الى مكة المكرمة رفضه لان يصرف لقهرمانتي الخليفة العباسي المقتدر بالله فاطمة وام موسى الهاشمية النفقات الباهظة التي طالبوه بدفعها للجواري اللواتي يخدمن الخليفة المقتدر بالله لانه رأى فيها اسرافا كبيرا لا داعي له اذ طلبوا منه عشرة آلاف درهم للمجيبة ثياب امير المؤمنين وعشرة آلاف درهم للمعممة وعشرة آلاف درهم للمزررة وعشرة آلاف درهم للمبخرة وعندما رفض شكوه للخليفة المقتدر بالله فنفاه الى مكة المكرمة .[15]

وان ثمة اشارة الى دور سلبي للقهرمانة علم [16] قهرمانة الخليفة المستكفي بالله (333-334هـ/944-945م) في معاملة التجار حيث صارت تكتس منازلهم فتحوز ما تجده لنفسها وانبسطت يدها حتى صارت

---

[9]() ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1939م)، 10/ 185-188.

[10]() عمر بن بحر بن محبوب (ت 255هـ/ 868م)، رسائل الجاحظ، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2000م)، 2/ 121.

[11]()عزمات، عبدالله حسين ولي، المرأة في العراق في العصر العباسي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (الموصل: 1983م)، 140.

[12]() فاطمة القهرمانة: من القهرمانات البارزات في عصر الخليفة العباسي المقتدر بالله، كانت اول قهرمانة بارزة لوالدته السيدة شغب استمرت في منصبها لحين وفاتها بغرق طيارها سنة 299هـ/ 911م، انظر: مسكويه، احمد بن محمد بن يعقوب (ت 421ه/ 1030م)، تجارب الامم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2003م)، 5/ 13.

[13]() الوزير ابن الفرات: ابو الحسن علي بن محمد بن الفرات، وزير للخليفة العباسي المقتدر بالله ثلاث مرات، قتل هو وابنه المحسن سنة 312ه/ 924م، انظر: الصابئ، الهلال بن المحسن (ت 449ه/ 1056م)، الوزراء او تحفة الامراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار احمد خراج، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة: 1985م)، 28- 39.

[14]() مسكويه، تجارب الامم، 5/ 13.

[15]() ابن الوردي، عمر (ت: 749هـ/1348م)، تتمة المختصر في اخبار البشر، تحقيق: احمد رفعت البدراوي، دار المعرفة (بيروت: 1970)، 387/1.

[16]() القهرمانة علم: جارية فارسية الاصل من منطقة شيراز (ت: 334هـ/945م)، للمزيد ينظر: مسكويه، تجارب الامم: 5/270-271-276-284.

تأخذ اموال الناس التي لا شبه فيها في احدى كبساتها تلك أخذت متاعا كثيرا من تاجر بز بغدادي بقيمة ثلاثون الف دينار .[17]

وكانت هذه القهرمانة تتولى عرض الغلمان والحجاب والرجالة في قصر الخليفة ... فانخرقت الهيبة بهذه المرأة وذهبت الرسوم التي كانت للخلافة .[18]

كما أمرت السيدة شغب أم الخليفة المقتدر بالله سنة (306ه/918م) قهرمانة لها تعرف بثمل [19]، ان تجلس بالتربة التي بنتها شغب بالرصافة في بغداد للنظر في المظالم حيث قامت القهرمانة ثمل بالنظر في رقاع الناس في كل جمعة بحضرة الفقهاء والقضاة والاعيان وكانت تبرز التواقيع وعليها خطها .[20]

وان القهرمانة ثمل هذه كانت موصوفة بالشر وقساوة القلب فضلا عن توليها لمهمة تعذيب من يغضب عليه الخليفة المقتدر بالله او والدته السيدة شغب وينوون مصادرته فتبسط ثمل عليه العذاب حتى تستخرج منه الاموال المرجوة .[21]

اما القهرمانة المعروفة بـ (زيدان) [22] فقد كانت لها مهمتان الاولى ان كثير من القادة والوزراء الذي يغضب عليهم الخليفة العباسي المقتدر بالله كانوا يحبسون عندها وتتولى هي الاشراف عليهم .[23]

اما المهمة الثانية فتتمثل بكونها مسؤولة عن خزانة الجواهر في دار الخلافة، لكن يبدو انها كانت غير امينة لان مما يذكر عنها ان يدها كانت قد امتدت الى هذه الخزانة وقامت بسرقة سبحة جوهر منها [24]، وكانت تلك السبحة مضرب المثل واصبح ذكرها مقترن بذكر زيدان فكانت تسمى "سبحة زيدان... تشتمل على ثلاثين درة متشابهة في الوزن واللون لكل واحدة منها كبيضة العصفور، مفصلة بعشر يواقيت، لم ير امثالها معاً في عقد ملكة ولا خزانة ملك فصارت مثلاً في النفائس والذخائر" .[25]

إن مما نجدر الاشارة اليه ان هؤلاء القهرمانات، كان لهن نفوذ كبير في قصور الخلفاء، واصبحت لهن قدرة كبيرة على التدخل في إدارة شؤون الدولة، بل اصبح للبعض منهن دور في تنصيب الخلفاء كما حصل مع قهرمانة الخليفة العباسي المستكفي بالله (333-334-944-946م) المعروفة بعلم، والتي كان لها دور في تدبير الخلافة له وغلبت على امره كله لولا ان تمكن معز الدولة البويهي (356هـ/ 966م) من القضاء عليها، بحجة التآمر عليه، وهي بذلك تكون قد نجحت فيما فشلت فيه قهرمانة اخرى وهي ام موسى الهاشمية والتي كان من بين اسباب غضب الخليفة العباسي المقتدر بالله عليها وعلى اختها واخيها وبعض المقربين منها وامره بالقبض عليهم، انها زوجت بنت اخيها لشخص كان من المؤهلين لتولي الخلافة وهو ابو العباس احمد بن محمد بن اسحاق بن المتوكل على الله الخليفة العباسي .[26]

---

[17]() مؤلف مجهول، العيون والحدائق في اخبار الحقائق، تحقيق: نبيل عبد المنعم داود ، مطبعة الارشاد، (بغداد: 1973)، ق2-4/154.

[18]() المصدر نفسه، ق2-4/155.

[19]() القهرمانة ثمل: جارية رومية الأصل اشترتها السيدة شغب وجعلتها احدى قهرماناتها، (ت: 317هـ/929م)، للمزيد ينظر: مسكويه، تجارب الأمم: 48/5.

[20]() ابن الجوزي، المنتظم: 13/180-181.

[21]() الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت: 748ه/1347م)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطى، دار الكتب العلمية (بيروت: 2005)، 542/7.

[22]() القهرمانة زيدان: جارية رومية الاصل، احدى قهرمانات السيدة شغب، وفاتها مجهولة، انظر: ابن الجوزي، المنتظم، 13/ 64-65.

[23]() الصابئ، الوزراء، 39-342.

[24]() ابن الجوزي، المنتظم، 13/ 64-65.

[25]() الثعالبي، عبدالملك بن محمد بن اسماعيل (ت 429ه/ 1037م)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2005م)، 2/ 274.

[26]() مسكويه، تجارب الامم، 5/ 47-50، ابن الجوزي، المنتظم، 13/ 209.

من الجدير بالذكر ان سوء استغلال القهرمانات الانف ذكرهن لنفوذهن ودورهن في افساد امور الحكم، كان له صدى لدى بعض الشعراء المعاصرين لهن فقد خص احد الشعراء القهرمانتين ام موسى وفاطمة بالذم، وبين ان ملكاً تسوسه امثال هاتين القهرمانتين هو ملك مصيره الخراب والفشل وذلك بقوله:

إذ مُلكاً تسوسه ام موسى وفاطمة

لجدير بأن ترى ربة البيت لا طمة [27]

من الراجح ان فسح المجال امام تدخل بعض القهرمانات في شؤون الدولة في العصر العباسي وخاصة في فترات ضعف الدولة، نتيجة ضعف الخليفة شخصياً وان الدولة تدار من قبل النساء، وان ذلك التدخل من قبل القهرمانات كان ليس على وتيرة واحدة وانما يزداد اذا كان الخليفة ضعيف ومحباً للهو وللنساء.

اما الوظيفة الادارية الاخرى التي اسهمت فيها المرأة في العصر العباسي هي:.

2. الكاتبة:. من الوظائف المهمة التي اسندت للمرأة في العصر العباسي وظيفة الكاتبة اذ عمل بعض النسوة ككاتبات خاصات بالخلفاء منهن كاتبة تعرف بنعمة كانت تكتب للخليفة العباسي المقتدر بالله [28] ، كما ان الخليفة العباسي الناصر لدين لله (575-622هـ/ 1180- 1225م) لما ضعف بصره استحضر امرأة من النساء البغداديات كانت تعرف بـ "ست نسيم" وقربها وكانت تكتب خطاً قريباً من خطه وجعلها بين يديه تكتب الاجوبة على الرقاع [29]، كما كان لنساء الخلفاء كاتبات خاصات بهن فقد كان لقبيحة [30]، زوجة الخليفة العباسي المتوكل على الله (232-247هـ/ 847-861م) جارية كاتبة خاصة بها تعرف بـ (نسيم الكاتبة) .[31]

كما كان هناك كاتبات للوزراء اذ كان "لخالد بن برمك جارية اسمها سرور اكتب الناس بقلم واحسنهم علماً وكانت توقع بين يديه فتخرج التوقيعات الى الكتاب وربما اقترحوا عليها نسخ الكتب لبلاغتها" .[32]

ان بعض الكاتبات العاملات في دواوين الدولة، كن قد بلغن الغاية في جودة الخط واتقان الصنعة فقد وصف احدهم جارية كاتبة بقوله "كان خطها اشكال صورتها وكان مرادها سواد شعرها وكأن قلمها بعض انامله وكأن بيانها سحر مقلها وكأن سكينها سيف لحاظها وكأن مقطها قلب عاشقها" .[33]

لعل اشهر الكاتبات في العصر العباسي هي الكاتبة ام الفضل فاطمة بنت الحسين بن علي العطار المعروفة ببنت الاقرع الكاتبة البغدادية والتي كانت تكتب على طريقة الخطاط المعروف بأبن البواب [34] ، وكان

---

[27]() الراغب الاصفهاني، حسين بن محمد بن المفضل (ت 502ه/ 1108م)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق: عمر الصباغ، دار الأرقم بن ابي الأرقم، (بيروت: 1999م)، 1/ 231.

[28]() الصابئ، الوزراء، 325- 326.

[29]() ابن العبري، غريفوريوس بن اهرون (ت 685ه/ 1286م)، تاريخ مختصر الدول، دار الرائد اللبنانية، (لبنان: 1983م)، 421.

[30]() قبيحة: جارية رومية الاصل، سميت قبيحة لفرط جمالها، اهداها ابن طاهر للخليفة العباسي المتوكل على الله، كانت اديبة متفننة في علوم شتى. توفيت سنة 264ه/ 877م، انظر: الجاحظ، المحاسن والاضداد، تحقيق: فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب (بيروت: 1969)، 317.

[31]() ابن الجوزي، اخبار النساء، المكتبة العلمية، (بيروت: 2005م)، 150.

[32]() الزمخشري، محمود بن عمر (ت 538ه/ 1143م)، ربيع الابرار ونصوص الاخبار، تحقيق: سليم النعيمي، مطبعة العاني، (بغداد: 1980م)، 3/ 21.

[33]() الثعالبي، من غاب عنه المطرب، تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان، مطبعة المدني، (القاهرة: 1984م)، 7.

الناس يكتبون على طريقتها في الكتابة، وكان حسن خطها قد اهلها لكتابة كتاب الهدنة الى ملك الروم من دار الخلافة العباسية [35] ، كما كتبت مرة ورقة للوزير عميد الملك ابي نصر الكندري [36] ، فأعطاها الف دينار .[37]

في حين اشار احد الشعراء الى بعض الجواري كن يعملن ككاتبات لدى المحدثين وذلك بقوله:

ولقد مررت على المحدث مرة واذ بحضرته ظباء رتع

واذ ظباء الانس تكتب كلما يملي وتثبت ما يقوله وتسمع **(38)**

وكان هنالك بعض الجواري اللواتي يعملن في دور العلم حيث كانت احداهن تعرف بتوفيق السوداء والتي كانت تخدم بدار العلم في بغداد وتتولى اخراج الكتب الى النساخ [39] ، ومن اللافت للنظر ان تولي امرأة لوظيفة الكاتبة كان موضع تهكم وسخرية من قبل بعض شعراء العصر العباسي، فقد انتقد احدهم تولي امرأة لوظيفة الكاتبة بقوله:.

ما للنساء والكاتبة والعمالة والخطابة

هذا لنا ولهن منا ان يبتن على جنابة **(40)**

من الراجح ان هذا التهكم والسخرية من قبل ذلك الشاعر حول عمل المرأة في وظيفة كاتبة لا يمكن تعميمه وانما هو مجرد رأي شخصي من ذلك الشاعر.

---

[34]() ابن البواب: ابي الحسن علي بن هلال بابن البواب ويعرف ايضاً بالستري للأن اباه كان ملازماً لستر الباب، خطاط مشهور اخذ الخط عن عبدالله بن محمد بن اسد ومحم بن السمسماني، واخذاهما الخط عن الوزير ابي علي محمد بن مقلة، لم يكن بعد ابن مقلة اكتب منه وهو الذي اكمل قواعد الخط وتممها واخترع غالب الاقلام التي اسسها ابن مقلة ممن اخذ عنه محمد بن عبد الملك وعن محمد بن عبد الملك اخذت الشيخة المحدثة الكاتبة زينب الملقبة بشهدة ابنة الابري توفي سنة 423ه/ 1031م، انظر: ابن الجوزي، المنتظم، 15/ 155- 156.

[35]() اليافعي، عبدالله بن اسعد بن علي بن سلمان (ت 768ه/ 1366م)، مرأة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الأعلمي، (بيروت: 1970م)، 3/ 132.

[36]() عميد الملك الكندري: ابو نصر عميد الملك بن منصور الكندري وزير السلطان طغرليك بن محمد بن داؤود بن ميكائيل اول السلاطين السلاجقة الكندري، نسبة الى كندر، قرية بالقرب من قزوين او الى بيع الكندر، كان فصيحاً شاعراً قتل سنة 457ه/ 1064م، انظر: ابن الجوزي، المنتظم، 16/ 482- 486-493.

[37]() ابن كثير، اسماعيل بن عمر (ت 774ه/ 1372م)، البداية والنهاية، دار البيان الحديثة، (القاهرة: 2003م)، 12/ 115.

[38]() السري الرفاه، السري بن احمد (ت: 362هـ/972م)، ديوان السري الرفاه، تحقيق: حبيب حسين الحسيني، دار الرشيد (بغدا: 1981)، 384/2.

[39]() ابو العلاء المعري، احمد بن عبدالله بن سليمان، (ت 449ه/ 1057م)، رسالة الغفران، تحقيق: فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، (بيروت: 1968م)، 136.

[40]() الراغب الاصفهاني، محاضرات الأدباء، 1/ 130.

أما من طريف ما روي بصدد المرأة الكاتبة انه في سنة (576هـ/1180م) قدمت امرأة الى القاهرة عديمة اليدين وكانت تكتب برجليها كتابة حسنة فحصل لها القبول التام ونالها مال جزيل.[41]

المبحث الثاني: إسهام المرأة البغدادية الأمني في العصر العباسي

اسهمت المرأة خلال العصر العباسي بدور فعال في المجال الامني ومن ذلك:

1. الجاسوسة:. لقد كان للمرأة في العصر العباسي دور فعال في هذا المجال الوظيفي الحيوي اسوة بالرجل، وليس ذلك بالشيء المستغرب في ظل الخلافة العباسية التي اعتمدت ولقرابة ثلاثون عاماً على التنظيم السري للدعوة قبل اعلان البدء بثورتهم على الامويين سنة (129هـ/ 746م)[42]، اذ ان احد الاسباب التي كانت وراء زوال حكم الامويين استتار الاخبار عنهم نتيجة لإهمالهم لهذا الجانب الحيوي في ايامهم الاخيرة [43]، لكن العباسيين وبمجرد ان استلموا الحكم بعد اسقاطهم الدولة الاموية سنة (132هـ/ 749م) حتى اولوا العيون والجواسيس اهمية خاصة لثقتهم بالدور الخطير الذي يلعبه هؤلاء العيون والجواسيس في استتباب الامن والاستقرار وكشف محاولات الاعداء ومؤامراتهم قبل وقوعها والاطلاع على سير الامور في دولتهم ليتمكنوا من الحفاظ عليها .[44]

كما ان مما يدل على شدة حرص بعض الخلفاء العباسيين على تفقد امور دولتهم واحوال رعيتهم بتقصي الاخبار بأنفسهم وقد برز في هذا الشأن كل من الخليفة العباسي هارون الرشيد[45] والخليفة العباسي الناصر لدين الله .[46]

لقد اضطلعت المرأة بدور فعال في هذا المجال الحيوي طيلة العصر العباسي، علماً بان مساهمة المرأة في هذا العمل ودورها الحيوي يمتد الى فترة بدء اعلان الثورة العباسية في خراسان سنة 129هـ/ 746م حيث استخدمت بعض نساء الدعوة للتجسس على المتصدين للثورة اذ انبثثن في صفوف الاعداء متنكرات بزي متسولات لمعرفة اخبارهم ومكامن ضعفهم وارسال تلك المعلومات الى قادة الثورة العباسية في خراسان .[47]

كما كان للعديد من الخلفاء العباسيين جاسوسات تم استخدامهن للتجسس عل اعدائهم ومناوئيهم وقد اثبتن قدرتهن على تنفيذ المهام الموكلة اليهن بنجاح فقد كان للخليفة العباسي ابو جعفر المنصور (136-158هـ/ 754- 775م) جاسوسة حجامة ادت دوراً مهماً في انتزاع الاعتراف من امرأة جيء بها الى الخليفة ابو جعفر المنصور ليسألها عن محمد بن عبدالله الملقب بالنفس الزكية (ت 145هـ- 762م) ولما ابت الانكار وعدم معرفتها بمكان استتار محمد النفس الزكية رغم كل انواع التعذيب التي مورست ضدها فأجاءها

---

[41]() ابن تغري بردي، يوسف الاتابكي (ت: 874هـ/1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة، (القاهرة: 1963)، 86/6.

[42]() عبيد، طه خضر، العيون والجواسيس بين العباسيين والبيزنطيين حتى منتصف القرن الثالث للهجرة، مجلة التربية والعلم، العدد 21، (الموصل: 1998م)، 183.

[43]() ابن الاثير، علي بن ابي الكرم محمد بن محمد الشيباني، (ت. 630ه/ 1232م)، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2006م)، 5/ 225.

[44]() عبيد، العيون والجواسيس، 183.

[45]() التنوخي، المحسن بن علي بن محمد، (ت 384ه/ 944م)، الفرج بعد الشدة، دار الطباعة المحمدية، (القاهرة: 1955م)، 2/ 396.

[46]() ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا، (ت 709ه/ 1309م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، مطبعة محمد علي صبيح واولاده، (مصر: 1962م)، 257.

[47]() مؤلف مجهول، اخبار الدولة العباسية وفيه اخبار العباس وولده، تحقيق: عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، (بيروت: 1971م)، 403-404.

الخليفة ابو جعفر المنصور بان له جارية جاسوسة كانت تتنكر باحترافها للحجامة لتدخل الى دورهم وتتعرف اخبارهم فأسقط في يد المرأة واعترفت بكل ما اراد .[48]

اشار احد الباحثين الى ان تنكر المرأة الجاسوسة بمهنة الحجامة مرده الى "ان النسوة اللاتي كن يمارسن هذه المهنة يدخلن في البيوت بحكم مهنتهن وهن يقمن بدورهن ويشتغلن هذه المهنة في التجسس على الناس" .[49]

كما استخدم الخليفة العباسي محمد المهدي (158- 169هـ/ 775- 785م) جارية جاسوسة له للإيقاع بوزيره ابي عبيد الله يعقوب بن داؤود (ت 170هـ/ 786م) بعد ان كان قد اهداها له مع جملة هدايا، وتمكنت من ايصال خبر اطلاقه لأحد العلويين والذي كان الخليفة المهدي قد امر وزيره بالتخلص منه مما ادى الى الايقاع بالوزير وحبسه [50]، كما كان للخليفة العباسي المقتدر بالله جاسوسة هي المغنية بدعة الكبيرة على وزيره ابن الفرات (ت: 312هـ/924م) والذي كان يكره حضورهما مجالس انسه رغم جودة صنعتها في الغناء "لأنه كان يتهمها بنقل اخباره الى المقتدر بالله" .[51]

كما كان للوزراء ايضاً جواسيس من العنصر النسوي لعبن دوراً مهماً في نقل المعلومات المطلوبة لإدارة الصراع الدائر على النفوذ في بلاط الخليفة للإيقاع بخصومهم او منافسيهم فقد كان للوزير الفضل بن الربيع [52] جاسوسة تنقل له اخبار جعفر البرمكي [53]، كمال كان للفضل بن سهل [54] وزير الخليفة المأمون في خراسان العديد من الجواسيس ببغداد يكاتبونه بأخبارها واخبار الخليفة الامين (193- 198هـ/ 809- 813م) ووزيره الفضل بن الربيع ويسيرون كتبهم تلك مع جاسوسة ورغم يقظة الوزير الفضل بن الربيع وشدة تحرزه لئلا تنفذ امثال كتب اولئك الجواسيس، الا انهم تمكنوا من تسيير الكتاب "مع امرأة تمضي على المسالح [55] كالمجتازة من القرية الى قرية" .[56]

لقد اولى الخليفة المأمون الجهد الاستخباري النسوي جل اهتمامه فمما روى عنه انه وبعد استقراره في بغداد كان اول من اتخذ الجواسيس من النساء العجائز اذ جعل له 1700 عجوز جاسوسة يتفقدن احوال الناس ويرفعن تقاريرهن بذلك اليه والمتضمنة لأخبار المشبوهين والمجرمين. ومن يحبه ومن يبغضه ومن يفسد حرم المسلمين وكان لا يجلس في دار الخلافة، حتى ترفع اليه تقاريرهن في كل يوم [57]، وقد

---

[48]() البيهقي، ابراهيم بن محمد، (ت 320ه/ 932م)، المحاسن والمساوئ، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1999م)، 114.

[49]() عرفات، المرأة، 115.

[50]() الطبري، محمد بن جرير، (ت 310ه/ 922م)، تاريخ الامم والملوك، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2005م)، 4/ 576-577.

[51]() الصابئ، الوزراء، 215.

[52]() الفضل بن الربيع: ابو العباس الفضل بن الربيع بن يونس بن محمود وزير للخليفتين العباسيين الرشيد والامين توفي سنة 208ه/ 824م، انظر: ابن الجوزي، المنتظم، 10/ 185.

[53]() ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 5/ 327.

[54]() الفضل بن سهل: ابو العباس الفضل بن سهل بن عبدالله السرخسي وزير الخليفة العباسي عبدالله المأمون وصاحب تدبيره، قتل بسرخس سنة 202ه/ 818م، انظر: الطبري، تاريخ، 5/ 144، ابن الجوزي، المنتظم، 10/ 110-112.

[55]() المسالح: المسلحة: قوم في عدة بموضع رصد قد وكلوا به بإزاء الثغر، واحدهم مسلحي انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن مكرم بن علي، (ت 711ه/ 1311م)، لسان العرب، دار الحديث، (القاهرة: 2003م)، 4/ 640.

[56]() الطبري، تاريخ، 5/ 39.

[57]() ابن دحية، عمر بن حسن بن علي الكلبي، (ت 633ه/ 1235م)، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، مطبعة المعارف، (بغداد: 1946)، 48.

نتفق مع ما ذهب اليه طه خضر عبيد [58] من انه "ربما كان لهذا العدد المبالغ فيه ادارة خاصة تشرف عليه".

كما كان النشاط الجاسوسي النسوي وراء امر الخليفة العباسي القاهر بالله (320- 322هـ/ 932- 934م) بمنع دخول اي امرأة الى دار الخلافة حتى يعرف من هي [59]، في الوقت الذي كان له جاسوسة تحضر اليه متنكرة على انها قابلة .[60]

اما في حقبة التسلط البويهي (334-447هـ/ 945-1055م) فمن "الطبيعي ان تخفت اصوات اصحاب الاخبار من اتباع دار الخلافة... وان ترتفع اصوات جواسيس البويهيين [61] "، فيما كان الجهد الجاسوسي احدى الطرق التي وطد بها الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله (529- 555هـ/ 1134- 1160م) دعائهم استقلاله بالعراق وسعيه للتخلص من التسلط السلجوقي (447- 547هـ/ 1055- 1152م) لذلك نجده "يبذل الاموال العظيمة لأصحاب الاخبار في جميع البلاد حتى كان لا يفوته منها شيء" [62]، ولم تغب المرأة بطبيعة الحال عن الجهد الجاسوسي المدعوم من قبل الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله، فقد ورد ما يفيد انه كانت له عجوز جاسوسة قامت بإيصال رسالة سرية منه في الليل الى الفقيه كمال الدين الشهرزوري [63] تتضمن عتاباً من الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله للفقيه الشهرزوري لأمتناعه عن مبايعة المقتفي لأمر الله فما كان من الفقيه في اليوم التالي الا ان اعلن مبايعته .[64]

كما كان للخليفة العباسي الناصر لدين الله (575- 622هـ/ 1180- 1225م) اعداد كبيرة من العيون والجواسيس منتشرين في العراق وسائر الاطراف يطالعونه بجزئيات الامور [65]، ومن الطبيعي ان يكون للمرأة اسهام في الجهد الجاسوسي الواسع في عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله ويمكن ان نستنتج ذلك من الاشارة التي اوردها المقريزي [66] في معرض حديثه عن شدة اعتناء الخليفة العباسي الناصر لدين الله بأصحاب الاخبار في العراق وسائر الاطراف وذلك بقوله "حتى ان اهل العراق يخاف الرجل منهم ان يتحدث مع امرأته لما يظن ان ذلك يطلع عليه الخليفة فيعاقب عليه".

اما الوظيفة الاخرى الامنية التي شغلتها المرأة في العصر العباسي هي:.

2. المفتشة:. ان شغل المرأة لهذه الوظيفة يعد من الناحية الشرعية فرضاً من فروض الكفاية الواجب على مجموعة من النساء القيام بها، اذ يذكر ابن المجاور وجود امرأة عجوز تعمل كمفتشة في المرسى الذي عند مدينة عدن كانت تتولى تفتيش النساء قبل نزولهن من المراكب الواصلة الى المرسى فيما يقوم مفتش بتفتيش الرجال وذلك بقوله (فاذا وصل المركب المرسى ... يصعد المفتش يفتش رجلا بعد رجل ..

---

[58]() العيون والجواسيس، 184.

[59]() ابي الفداء، اسماعيل بن علي بن محمد، (ت 732ه/ 1331م)، المختصر في اخبار البشر المطبعة الحسينية، (القاهرة: 1352ه)، 2/ 77.

[60]() ابن الاثير، الكامل، 9/ 438.

[61]() الشيبي، كامل مصطفى، اصحاب الاخبار او رجال المخابرات في التراث العربي حتى سقوط بغداد، مجلة افاق عربية، (بغداد: 1982م)، العدد (7)، 66.

[62]() ابن الاثير، الكامل، 9/ 438.

[63]() الشهرزوري: كمال الدين ابو الفضل محمد بن عبدالله بن القاسم الشهرزوري، كان السلطان نور الدين زنكي قد استوزره وكان يبعثه في رسائله الى الخليفة العباسي ببغداد كان فقيهاً اديباً شاعراً توفي سنة 572ه/ 1176م، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، 12/ 256.

[64]() ابن الاثير، الكامل، 9/ 293- 294.

[65]() الكتبي، محمد بن شاكر، (ت 764ه/ 1362م)، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، (بيروت: 1974م)، 1/ 67.

[66]() احمد بن علي بن عبد القادر (ت 845ه/ 1441م)، السلوك في معرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (مصر: 1956م)، ق 1-1/ 217-218.

وكذلك عجوز تفتش النساء تقرب يدها في اعجازهن وفروجهن) [67]. فضلاً عن الاستفادة من خدمات المرأة المفتشة في جهاز الشرطة في العصر العباسي دليل ذلك ان الشرطة حينما قاموا بتفتيش منزل الامام احمد بن حنبل (ت 241هـ/ 855م) كان بصحبتهم امرأتين مفتشتين تولتا مهمة تفتيش النساء في داره .[68]

نستنتج من ذلك ان المرأة اسهمت اسهاماً فعالاً في العصر العباسي من خلال توليها وظائف ادارية واخرى امنية.

الخاتمة

مما تقدم نخلص الى النتائج التالية:.

1. اسهمت المرأة وبشكل ملحوظ في العصر العباسي من خلال وظائف انيطت بها.
2. كان لها دور فعال في العمل الاداري والمتمثل بالقهرمانة في البلاط العباسي.
3. لعب البعض منهن دوراً ملحوظاً في تسيير امور الدولة وخاصة عند تولي خليفة ضعيف ومحب للهو والنساء.
4. اشتهر البعض منهن بجودة الخط والكتابة في العصر العباسي وعملن في دار الخلافة وعند بعض الوزراء.
5. مارس البعض منهن الجاسوسية ونقل الاخبار للخلفاء والوزراء ولم يكن دورهن اقل اهمية من دور الرجل.
6. واسهم البعض منهم في العمل كمفتشة في العصر العباسي.

هوامش البحث

[67]() ابن المجاور، يوسف بن يعقوب بن محمد، (ت690هـ/1291م)، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، مطبعة بريل، (ليدن، 1951)، ق139/1.

[68]() ابن الجوزي، مناقب الامام احمد بن حنبل، دار الآفاق الجديدة، (بيروت: 1977م)، 361.